

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: 12]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا عَلِمَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الْحَالَ الْمَزْلَزِلَ لَهُمْ كَانَ فِي غَايَةِ الْهَوْلِ؛
أَشَارَ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُزَلِّزْ لَهُمْ أَنَّ حِكْمَ أَقْوَالِ الْمَزْلَزِلِينَ، وَلَمْ يَذْكُرْ
أَقْوَالَهُمْ، وَسَيَذْكُرُهَا بَعْدُ لِيَكُونَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ بِالثَّبَاتِ مَعَ عَظِيمِ
الزَّلْزَالِ مَذْكُورًا مَرَّتَيْنِ إِشَارَةً وَعِبَارَةً، فَقَالَ: وَإِذْ يَقُولُ الرَّاسِخُونَ
فِي النِّفَاقِ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ لِيُضَعِفَ الِاعْتِقَادَ فِي قُلُوبِهِمْ،
فَهُمْ عَلَى حَرْفٍ، وَكِلَاهُمَا قَالَ مَا عَبَّرَ بِهِ عَمَّا فِي قَلْبِهِ مِنَ النِّفَاقِ
وَضَعْفِ الْإِيمَانِ: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ مِنَ النَّصْرِ إِلَّا غُرُورًا
وَحِدَاغًا بَاطِلًا لَا وَجُودَ لَهُ⁽¹⁾.

ذِكْرُ أَقْوَالِ
الْمُنَافِقِينَ
وَضَعْفِ الْإِيمَانِ
بَعْدَ ذِكْرِ أَحْوَالِ
الْمُؤْمِنِينَ

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مَرَضٌ﴾: (مرض) أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الْإِنْسَانُ
عَنْ حَدِّ الصَّحَّةِ فِي أَيِّ شَيْءٍ كَانَ، وَالْمَرَضُ: السُّقْمُ، وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ
الِاعْتِدَالِ الْخَاصِّ بِالْإِنْسَانِ، أَوْ ثَقُلُ يَغْشَى الشَّيْءَ، فَتَحْجُبُ عَنْهُ حَدَّتُهُ
وَاعْتِدَالُهُ وَقَوَّتُهُ⁽²⁾، وَالْمَرَضُ ضَرْبَانِ: الْأَوَّلُ: مَرَضٌ جَسْمِيٌّ، وَهُوَ الْمَذْكُورُ
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [التَّوْبَةُ: 61]، وَالثَّانِي: الرِّذَائِلُ
كَالْجَهْلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالنِّفَاقِ وَغَيْرِهَا، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البَقَرَةُ: 10]⁽³⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ﴾، أَيُّ: ضَعْفُ اعْتِقَادٍ، وَهُمْ أَهْلُ الشَّكِّ وَالِاضْطِرَابِ⁽⁴⁾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 305 / 15.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مرض).

(3) الزَّائِبُ، الْفُرْدَاتُ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، اللِّسَانُ: (مرض).

(4) أَبُو الشَّعْوَدِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 405 / 4، وَالشُّوكَانِيُّ، فَتْحُ الْقَدِيرِ: 350 / 4.

(2) ﴿غُرُورًا﴾: (غرر) غَرَّهُ غَرًّا وَغُرُورًا وَغِرَّةً بالكسر، فهو مَغْرُورٌ وَغَرِيرٌ، كَأَمِيرٍ: خَدَعَهُ، وَأَطْمَعَهُ بِالْبَاطِلِ، فَاعْتَرَّهُ، وَالْغُرُورُ: الدُّنْيَا، أَوْ يُخَصُّ بِالشَّيْطَانِ، وَالْغُرُورُ عَيْبٌ مُسْتَتَرٌّ⁽¹⁾.

وَعَرَّه كَذَا غُرُورًا، كَأَنَّمَا طَوَاهُ عَلَى غَرِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الأنفطار: 6]⁽²⁾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾، أَيُّ: بِاطِلًا مِنْ الْقَوْلِ لَا وَجُودَ لَهُ⁽³⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذَلِكَ الْحَالِ حِينَ نَزَلَتْ الْأَحْزَابُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ - وَالْمُسْلِمُونَ مُحَاصِرُونَ فِي غَايَةِ الْجَهْدِ وَالضِّيقِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ - أَنَّهُمْ حِينَ ابْتَلَوْا، وَاحْتَبَرُوا، وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا، ظَهَرَ النِّفَاقُ، وَتَكَلَّمَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ، أَمَّا الْمُنَافِقُ: فَنَجَمَ نِفَاقُهُ، وَالَّذِي فِي قَلْبِهِ شُبْهَةٌ لَضَعْفِ حَالِهِ، فَتَنَفَّسَ بِمَا يَجِدُهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ فِي نَفْسِهِ لَضَعْفِ إِيْمَانِهِ وَشِدَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ ضَيْقِ الْحَالِ، فَقَالَ: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ إِعْلَاءِ الدِّينِ وَالظَّفَرِ إِلَّا بِاطِلًا⁽⁴⁾.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

مَعْنَى الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ﴾:

الْوَاوُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾⁽⁵⁾، وَهِيَ تَأْكِيدٌ لَهُ، فَزَيْفَانُ الْأَبْصَارِ أَكْثَرُ مَا يَظْهَرُ جَلِيًّا لَدَى الْمُنَافِقِينَ، فَأَبْرَزَتْ هَذِهِ الْحَالُ مِنَ الرَّعْبِ الْمُسْتَوْرِ فِي قُلُوبِ الْمُنَافِقِينَ مِنْ حَقِيقَةِ نِفَاقِهِمْ وَكُفْرِهِمْ مَقُولَةً فَضَحَتْهُمْ وَمَنْ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي: (غرر) و(غرر).

(2) الرَّاغِب، المفردات، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: (غرر).

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 405، والشَّوْكَانِي، فتح القدير: 350/ 4.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 441/ 3 - 442.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/ 405.

في وقت الأزمات
تظهر معادن
الرجال وتكشف
السُّوءات

تأكيد حال
الرَّعْبِ الَّذِي
فَضَحَ الْمُنَافِقِينَ

في قلبهم شكٌ وضعفٌ، فإنَّ ذلك كُلَّهُ ممَّا ألحقَ بالمسلمين ابتلاءٌ، فبعضُهُ من حالِ الحرب، وبعضُهُ من أذى المنافقين، ليحذروا المنافقين فيما يحدثُ من بعدُ، ولئلاَّ يخشوا كيدهم، فإنَّ اللهَ يصرفُهُ كما صرفَ أشدَّهُ يومَ الأحزاب⁽¹⁾.

دلالة التعبير (إذ) في قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ﴾:

موضعُ (إذ) نصبٌ على الظرفية الزمانية، أي: واذكر حين يقولُ المنافقون⁽²⁾، فإنَّ هذا القولَ وما عطفَ عليه حدثٌ في زمنٍ عصيبٍ، وهو وقتُ حصارِ الأحزابِ للمسلمين، والقصدُ من ذلك هو ذكرُ ما حدث واستحضاره لاستشعارِ نعمةِ الله على المسلمين.

نكتة التعبير بالفعل المضارع ﴿يَقُولُ﴾:

التعبيرُ بالفعل المضارع ﴿يَقُولُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ إشارةٌ واضحةٌ إلى تكريرهم لدليل النفاق، واستحضارِ صورته، أي: يقولُ المنافقون مرَّةً بعدَ أخرى⁽³⁾، فيتجدَّد قولهم، ويستمرُّ نفاقهم.

بلاغة التعبير (أل) في ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾ موصولةٌ، والموصولُ من صيغِ العموم، وكأنَّ المعنى: وإذ يقولُ كلُّ واحدٍ مِنَ المنافقين، وكلُّ واحدٍ مِنَ الذين في قلوبهم مرضٌ؛ لأنَّ الأولى (أل) موصولةٌ، والثانية (الذي) اسمٌ موصول، فكأنَّ هذا التعبيرَ بالموصول مرتين يدلُّ على صدور ذلك الكلامِ من كلِّ منافقٍ في ذلك الوقت، وصدوره من كلِّ منافقٍ في الموقفِ المشابه بما عبَّرَ عنه الفعل المضارع ﴿يَقُولُ﴾ قبل الموصولين.

بلاغة التعبير باسم الفاعل ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾:

التعبيرُ باسمِ الفاعلِ المجموعِ ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾؛ للدلالة على

استحضارُ قولِ
المنافقين في زمنِ
الشدةِ

تجدَّد قولِ
المنافقين
واستمرارهم
على ذلك في كلِّ
زمانٍ ومكانٍ

صدورُ ذلك
القولِ من كلِّ
المنافقين

رسوخُ النفاقِ
فيهم وأثرُ ذلك
في قولهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 283 / 21.

(2) الرَّجَاج، معاني القرآن: 4 / 219.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 304 / 15، والآلوسي، روح المعاني: 11 / 156.

رسوخ النِّفاق في ذواتهم وقلوبهم، فكأنَّهم استحقَّوا هذا الوصفَ، فاصطبغتْ بهِ أقوالهم وأفعالهم، وكأنَّ المعنى: وإذ يقولُ الرَّاسخون في النِّفاق، أصحابُ القلوبِ المريضة، أو الممتلئة قلوبهم مرضًا.

دلالة عطف قوله: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ على ﴿الْمُنَافِقُونَ﴾:

مَنْ وافق
المنافقين في
شيءٍ؛ عُدَّ منهم

ظاهرُ العطفِ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ على المنافقين أنَّ الذين في قلوبهم مرضٌ قومٌ لم يكونوا منافقين، فقليلٌ هم قومٌ كان المنافقون يستميلونهم بإدخالِ الشُّبهةِ عليهم، أو أنَّهم قومٌ كانوا ضِعافِ الاعتقادِ لقربِ عهدِهِم بالإسلام، وهذا على أنَّ التَّغَايِرَ في العطفِ هنا تَغَايِرُ ذَوَاتٍ، ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بهم المنافقين أنفُسَهُم على أنَّ العطفَ هاهنا تَغَايِرُ صِفَاتٍ لا تَغَايِرِ ذَوَاتٍ، ونُبِّهَ عليهم على جهةِ الدِّمِّ⁽¹⁾، وهو بعيدٌ.

نكتة التعبير بالاسم الموصول وصلته:

التَّقابُلُ بَيْنَ
الوصفين
للموصوفِ
الواحد

جاءَ التَّعْبِيرُ بِالاسْمِ الْمَوْصُولِ وَصَلَتِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ الآية، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَصِلُوا إِلَى الْجَزْمِ بِالنِّفَاقِ، وَلَا الْإِخْلَاصِ فِي الْإِيمَانِ، بَلْ هُمْ عَلَى حَرْفٍ، فَعِنْدَهُمْ نَوْعٌ نِفَاقٍ، فَالسِّيَاقُ مِنَ الْاِحْتِبَاكِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى بِلَاغَةٍ فَائِتَةٍ، حَيْثُ ذَكَرَ النِّفَاقَ أَوَّلًا دَالٌّ عَلَيْهِ ثَانِيًا، وَذَكَرَ الْمَرَضَ ثَانِيًا دَلِيلٌ عَلَيْهِ أَوَّلًا⁽²⁾، وَذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنَ الْعُطْفِ تَغَايِرُ الصِّفَاتِ لَا تَغَايِرِ الذَّوَاتِ.

نكتة التعبير بالطَّرْفِيَّةِ الْجَازِيَّةِ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾:

تشبيه المرض
للعنوي في
القلوب بالمرض
الحسي

عَبَّرَ النَّظْمُ الْكَرِيمُ بِالطَّرْفِيَّةِ الْجَازِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَغْلُغْلِ هَذَا الْمَرَضِ وَتَمَكُّنِهِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَهُوَ الشَّكُّ وَالاضْطِرَابُ فِي أُمُورِ الْاِعْتِقَادِ، يَعْنِي: لَيْسَ فِيهَا ثَبُوتُ الْإِيمَانِ وَقُوَّتُهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ، بَلْ أَصْبَحَتِ الْقُلُوبُ وَعَاءً لِلرَّيْبَةِ

(1) أبو حنَّان، البحر المحيط: 8/ 459، والآلوسي، روح اللعاني: 11/ 156.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 304.

وَالْقَلَقُ؛ تشبيهاً للأشياءِ المعنويةِ بالأشياءِ الحسيةِ على سبيلِ المبالغةِ في الوصفِ⁽¹⁾.

نكتةُ إسنادِ المرضِ إلى القلوبِ:

المرضُ إذا أصابَ الجسدَ؛ أحدثَ نقصاً في صحتهِ وخللاً في اعتداله، فكيف إذا كان هذا المرضُ معنوياً، وقد أصابَ القلبَ، وهو سيّدُ الأعضاءِ والحواسِّ؟ لذا كان إسنادُ المرضِ إلى القلوبِ مجازياً، وهو أشدُّ فتكاً بالقلبِ مِنَ المرضِ الحسيِّ.

مرضُ القلوبِ
أشدُّ فتكاً مِنَ
المرضِ الحسيِّ

نكتةُ تقديمِ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ على السُّنْدِ إليه:

تقدّمَ قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ على قوله: ﴿مَرَضٌ﴾، مع أنَّ الأصلَ أن يُقالَ: مرضٌ في قلوبِهِمْ؛ وذلك للدلالةِ على أهميّةِ القلوبِ واختصاصِها بما ينفعُ صاحبها، أو يضرُّه، مصداقاً لقولِ رسولِ الله ﷺ: «ألا وإنَّ في الجسدِ مُضْغَةً إذا صَلُحتْ؛ صَلَحَ الجسدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ؛ فَسَدَ الجسدُ كُلُّهُ، ألا وهي القلبُ»⁽²⁾، وأنَّ النِّفاقَ مرضٌ يهلكُ صاحبهُ.

أهميّةُ القلوبِ
واختصاصِها
بنفعِ صاحبها أو
ضرِّه

نكتةُ تنكيرِ ﴿مَرَضٌ﴾:

جاءتْ كلمةُ ﴿مَرَضٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ نكرةً؛ للدلالةِ على كثرةِ أمراضِ القلوبِ المتعلقةِ بالإيمانِ وعظمِ خطرِها، فهناك أمراضٌ كثيرةٌ عظيمةٌ من أمراضِ الاعتقادِ قائمةٌ في قلوبِ أهلها على الشكِّ والقلقِ والرَّيبةِ في أعظمِ قضيةٍ، وهي قضيةُ الإيمانِ⁽³⁾، بحيث تُضعِفُ الاعتقادَ والثِّباتَ في مواطنِ اللقاءِ، وفي كلِّ معنى جليلٍ.

قوّةُ أمراضِ
الاعتقادِ في
قلوبِ أصحابِها
وعظمِ خطرِها

نكتةُ عطفِ الرَّسُولِ على لفظِ الجلالةِ:

عطفُ الرَّسُولِ ﷺ على لفظِ الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿مَا وَعَدَنَا

عدمُ اعتقادِ
المنافقينِ برسالةِ
رسولِ الله ﷺ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 304 / 15.

(2) البخاري، الصحيح، حديث رقم: (52)، ومسلم، الصحيح، حديث رقم: (1599).

(3) البقاعي، نظم الدرر: 304 / 15.

اللَّهُ وَرَسُولُهُ هو على سبيلِ الهُزءِ من المنافقين والَّذين في قلوبهم مرضٌ؛ إذ لو اعتقدوا أنه رسولٌ حقيقةً ما قالوا هذه المقالة، فالمنعنى: ورسوله على زعمكم وزعمه⁽¹⁾.

بلاغة الاستثناء في: ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾:

الاستثناء في قوله تعالى: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ استثناء مُفَرَّغ، و﴿إِلَّا﴾ تكون هنا أداة حَصْرٍ، أي: ما وعدنا الله ورسوله إِلَّا وَعَدَ غُرُورٍ⁽²⁾، أو: ما وعدنا الله ورسوله وَعَدَ صدقٍ أبدًا، بل وَعَدَ غُرُورٍ.

دلالة التعبير بلفظ الغرور:

استعمالُ المنافقين والَّذين في قلوبهم مرضٌ للفظِ الغرور في قوله تعالى: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾، أنهم يعتقدون أن ما وعدهم الله ورسوله مِنَ النَّصْرِ على الأحزاب ما هو إِلَّا غُرُورٌ، أي: أمرًا يغرُّنا، ويوقعنا فيما لا طاقةَ لنا به، وقولهم هذا هو على سبيلِ التَّهْكُمِ والهُزءِ⁽³⁾، وقوله: ﴿غُرُورًا﴾ صفةٌ لمفعولٍ مُطلقٍ محذوفٍ، تقديره: ما وعدنا الله ورسوله إِلَّا وَعَدَ غُرُورٍ⁽⁴⁾، ويجوزُ أن يكونَ ﴿غُرُورًا﴾ مفعولًا به ثانيًا للفعلِ ﴿وَعَدْنَا﴾⁽⁵⁾.

نكتة تنكير ﴿غُرُورًا﴾:

تنكيرُ قوله: ﴿غُرُورًا﴾ على سبيلِ المبالغةِ مِنَ المنافقين ومرضَى القلوبِ في ادّعائهم أن ما وعدهم الله ورسوله به مِنَ النَّصْرِ على الأحزاب باطلٌ، فكأنهم يقولون: إن ما أصابنا من البلاءِ والشَّدةِ دليلٌ - في زعمهم - على بطلانِ دَعْوَى رسالةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وما هي

إرادةُ المنافقين
الطَّعنُ في وعود
الله تعالى

هُزءُ المنافقين
ومرضَى القلوبِ
بوعْدِ الله
ورسوله أنه
باطلٌ ولا طاقةَ
لهم به

للبالغةِ في ادّعاءِ
بُطلانِ وعْدِ الله
ورسوله

(1) أبو حنَّان، البحر المحيط: 460 / 8.

(2) درويش، إعراب القرآن: 606 / 7.

(3) أبو حنَّان، البحر المحيط: 460 / 8.

(4) التَّنْزِيلُ، مدارك التنزيل: 21 / 3، ودرويش، إعراب القرآن: 606 / 7.

(5) الدَّعَاس، إعراب القرآن: 44 / 3.

إِلَّا بَاطِلٌ اسْتَدْرَجَنَا بِهِ إِلَى الْإِنْسِلَاحِ عَمَّا كُنَّا عَلَيْهِ مِنْ دِينِ آبَائِنَا،
وإِلَى الثَّبَاتِ عَلَى مَا صِرْنَا إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِنْسِلَاحِ، بِمَا وَعَدْنَا بِهِ مِنْ
ظُهُورِ هَذَا الدِّينِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَالتَّمَكُّينِ فِي الْبِلَادِ حَتَّى فِي حَضَرِ
الْخَنْدَقِ⁽¹⁾، وَهَذَا نَحْنُ إِلَى الْآنَ لَمْ نَرَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ الْوَعْدِ.

بِلَاغَةُ الْقَصْرِ وَنَوْعُهُ وَغَرَضُهُ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ غَرَضُ لِقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، أَمَّا الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ - وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ - فَقَوْلُهُمْ:
مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ قَالُوهُ عَلَنًا بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ، قَصَدُوا بِهِ إِدْخَالَ الشَّكِّ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، لَعَلَّهُمْ يَرُدُّونَهُمْ
عَنْ دِينِهِمْ، فَأَوْهَمُوا بِقَوْلِهِمْ: مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا: أَنَّهُمْ
مَمَّنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَنَسَبَةُ الْغُرُورِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ فِي هَذَا
الْقَصْرِ الْإِدْعَائِيِّ إِمَّا عَلَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، وَإِمَّا لِأَنَّهُمْ بَجَهْلِهِمْ
يُجَوِّزُونَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَغُرَّ عِبَادَهُ.

وَيَحْتَمَلُ أَنََّّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ بَيْنَ أَهْلِ مِلَّتِهِمْ، فَيَكُونُ نَسْبَةُ الْوَعْدِ
إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ تَهْكُمًا، عَلَى سَبِيلِ الْهَزْءِ، كَقَوْلِ فِرْعَوْنَ مِمَّا حَكَاهُ
الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾^(٢٧)
[الشُّعْرَاءُ: 27]، وَالْغُرُورُ هُوَ ظُهُورُ الشَّيْءِ الْمَكْرُوهِ فِي صُورَةِ الْمَحْبُوبِ، وَهَذَا
يَعْنِي حَسَبَ وَهْمِهِمْ: أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ، فَكَانَ الْأَمْرُ هَزِيمَةً،
وَهُمْ يَعْنُونَ الْوَعْدَ الْعَامَّ، وَإِلَّا فَإِنَّ وَقْعَةَ الْخَنْدَقِ جَاءَتْ بَغْتَةً، وَلَمْ يَرَوْا
أَنَّهُمْ وَعِدُوا فِيهَا بِنَصْرِ.

وَأَمَّا قَوْلُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ - وَهُمْ نَفْسُ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ -
فَإِنَّ أَوَّلَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا مُتَرَدِّدِينَ بَيْنَ
الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ، وَقَوْلُهُمْ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ أَخْلَصُوا يَوْمَئِذٍ النِّفَاقَ،

إِرَادَةُ الْمُنَافِقِينَ
إِدْخَالَ الشَّكِّ فِي
قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

الْمُؤْمِنُونَ
وَائْتَقُونَ بِنَصْرِ
اللَّهِ وَالْمُنَافِقُونَ
يَتَشَكَّكُونَ

الْمُنَافِقُونَ وَمَرْضَى
الْقُلُوبِ بَعْضُهُمْ
مِنْ بَعْضٍ

(1) الْبِقَاعِي، نِظْمُ الدُّرَرِ: 306 / 15.

وصمّموا عليه، وخاصّةً أنّهم أظهره بين صفوف المسلمين، وبذلك يشتركون مع المنافقين في أنّ هذا القصر في مقولتهم يُثير حسَب ادّعائهم الشكّ في قلوب المؤمنين، ويوهنّها في قتال الأعداء وردّهم، وهذا غرض قولهم ومُبتغاه⁽¹⁾.

❁ الفروق المُجمِية:

النفاق ومرض القلب:

مرض القلوب
أعمّ من النفاق،
والإرجاف
والتعويق أثار
من آثار النفاق

النفاق: إظهار الإيمان مع إسرار الكفر، وسُمّي بذلك تشبيهاً بما يفعله اليربوع، يُقال: نافق اليربوع، وهو أن يجعل بجحره باباً ظاهراً، وباباً باطناً يخرج منه، ولا يقع هذا الاسم على مَنْ يُظهر شيئاً، ويخفي غيره إلا الكفر والإيمان، والنفاق هو الدخول في الشرع من باب، والخروج عنه من باب، وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ [التوبة: 67]، أي: الخارجون من الشرع، وجعل المنافقين شرّاً من الكافرين، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: 145]⁽²⁾.

المرض خروج عن حد الاعتدال الخاص بالإنسان، ومنه المرض الذي هو عبارة عن الرذائل، وهي أمراض القلوب: كالجبن والبخل وغيرها من الرذائل الخلقية، ومن هذه الأمراض: النفاق، وهو أخطرّها؛ لأنّ فيه خروجاً من دين الإسلام، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: 10]، ويشبّه النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض، إمّا لكونها مانعة عن إدراك الفضائل كالمريض المانع للبدن عن التصرف الكامل، وإمّا لكونها مانعة عن تحصيل الحياة الأخروية المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: 64]، وإمّا لميل النفس بها إلى

(1) أبو حنّان، البحر المحيط: 8 / 460، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 21 / 284.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 547، والرّغب، المفردات: (نق).

الاعتقادات الرديئة ميل البدن المريض إلى الأشياء المضرة⁽¹⁾،
وأمرض القلوب كثيرة أشدها وأخطرها النفاق.

المرض والسقم:

المرض: هو ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة في أي شيء كان
في الأشياء الحسية الجسدية، والأشياء المعنوية القلبية، فيما طال
وجوده أو قصر، فيما له علاج أو لا علاج له، والسقم غالباً يكون في
الأمراض التي يطول عهدها أو التي لا علاج لها.

والسقم والسقم: المرض المختص بالبدن، قال تعالى: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾
[الصافات: 89]، ويُقال: هو ما كان لخلل يعتري الإنسان لا ينفك منه،
وإن كان لا يحسُّ به، ويُقال: مكانٌ سقيم؛ إذا كان فيه خوف⁽²⁾.

المرض: عامٌّ في
البدن والقلب،
والسقم: مرضٌ
مستعصٍ أو
طويل الأمد

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّائِب، للفردات: (مرض).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزَّائِب، للفردات: (سقم).

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-97-6

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»